مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد التاسع عشر
2002

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

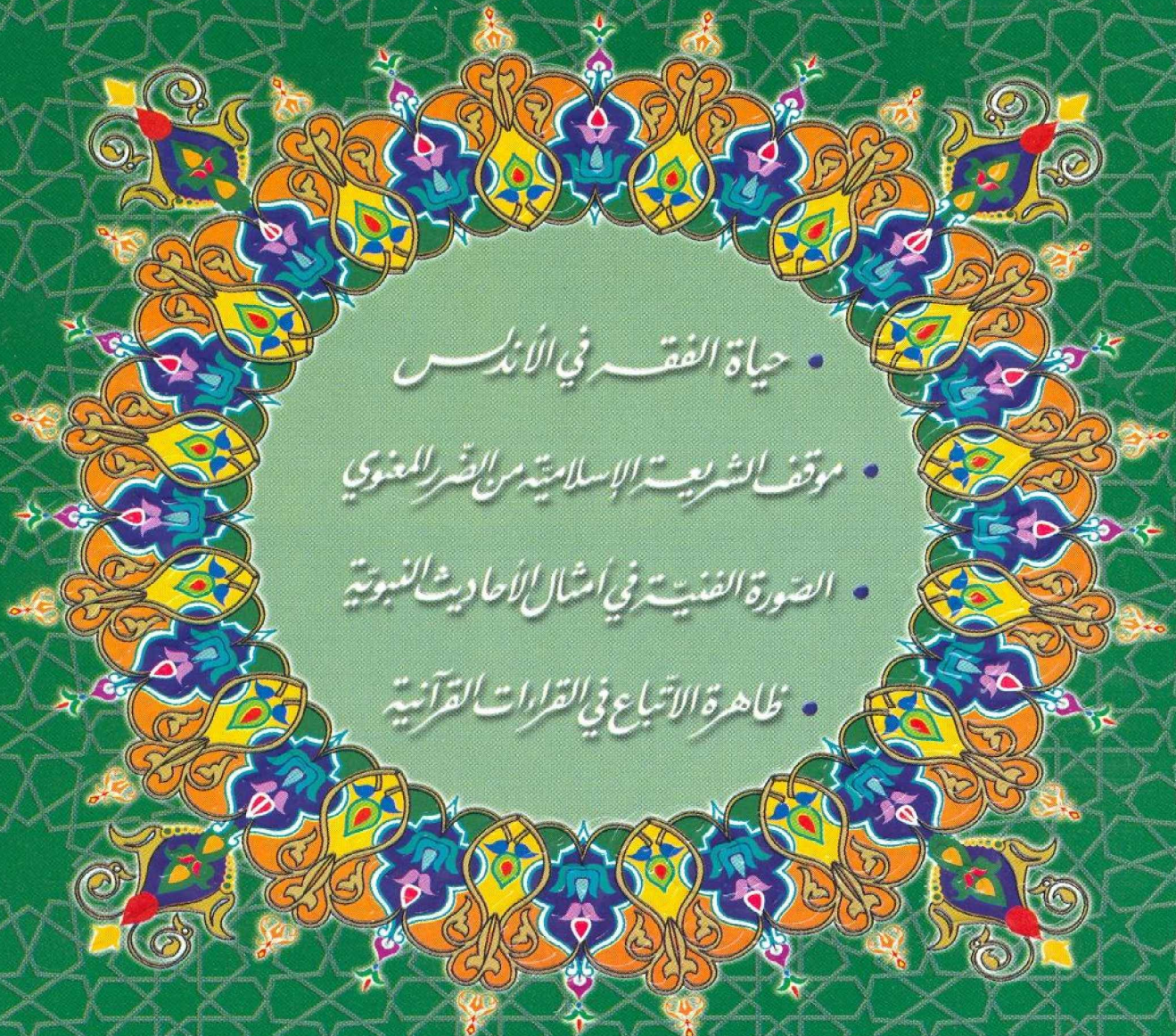

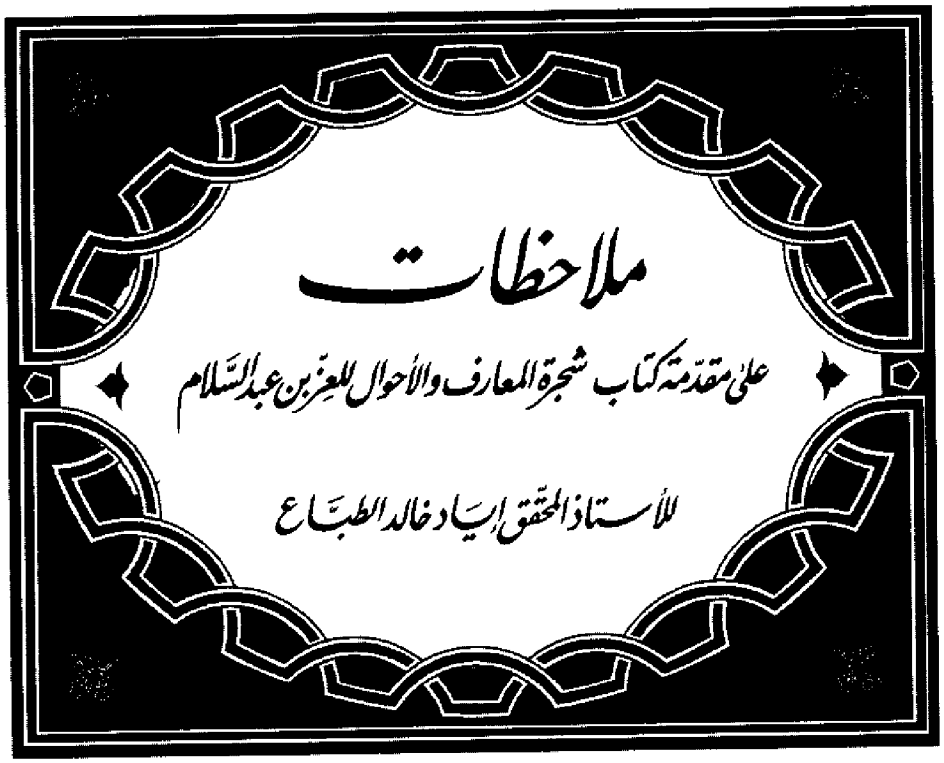

د. محمد مصطفى بالحاج

كتاب شجرة المعارف والأحوال، وصالح الأقوال والأعمال، للعز بن عبد السلام سلطان العلماء المتوفى عام (660هـ) من أهم الآثار العلمية التي تمثل شخصيته، وقد امتدحه الإمام الفقيه تاج الدين السبكي (ت771هـ) بقوله: «شجرة المعارف: حسن جداً». ولقد أزمعت عندما كنت في بريطانيا (1984) أن أعكف حالما أعود إلى بلدي في طرابلس الغرب على تحقيق آثار سلطان

(*) أخيراً حطت بي سفائن الأيام في جزيرة مالطا، لأعمل مستشاراً للغة العربية وأقوم بالتدريس في جامعتها، وإذا بي وحيداً وبعيداً عن ضجيج الأهل وأثقال الحياة في طرابلس، فوجدتني أعود بحماس إلى مصاحبة العز بن عبد السلام مستكملاً القسم الثاني من كتابه المجاز، وتذكرت قراءتي للمقدمة التي كتبها أخي الأستاذ إياد في تحقيقه كتاب شجرة المعارف، فانكببت عليها، وهأنذا أقدم إلى القراء الأفاضل ما تيسر من ملاحظات عليها، آملاً الإفادة منها إن شاء الله تعالى.

العلماء، فكاتبت عدة مكتبات عالمية للمخطوطات، ونجحت في جمع كثير من المخطوطات، ومن بينها المخطوط (شجرة المعارف) هذا، لكن الرياح لم تأت كما تشتهي السفن، بل وجدتني قارباً تتقاذفه أمواج الحياة العاتية، فلم أتمكن من من فعل شيء مما كنت أحلم به وأُمَنّي النفس بتحقيقه.

وشاء الحق سبحانه أن أتعرف على أخي الأستاذ المحقق إياد خالد الطباع مراسلةً، وأن يهديني ما وفقه الله إلى إنجازه من آثار سلطان العلماء، ومن بينها كتاب شجرة المعارف، فكانت فرحتي لا توصف، وحمدت الله على أنه هيأ أخانا الطباع وأكرمه بإنجاز ذلك الحلم الذي كان يداعبني سنوات طويلة.

قرأت مقدمة الأستاذ إياد لهذا الكتاب، ودوّنت عدة ملاحظات عجلى بقلم الرصاص على هوامشه، وظللت أتصيد الظرف المواتي، لأكتب بتلك الملاحظات إليه، علّه يفيد منها في مستقبل أعماله، وعندما يعيد طباعة (شجرة المعارف) ثانية، وحده أو ضمن سلسلة مؤلفات ابن عبد السلام سلطان العلماء.

الملاحظات

*** ميلاد العِزّ بن: عبد السلام:**

جاء في ص(7) تحت عنوان: سيرة المؤلف، أن العِزَّ ولد سنة 577هـ، وهو ما يقول به بعض المؤرخين، غير أن مؤرخين آخرين كالذهبي في (العبر جـ5/ ص260) والأسنوي (جـ2/ ص198)، والأزهري في مخطوطه (التحفة البهية في طبقات الشافعية (ص139) ذكروا بأن ميلاده كان في سنة 578هـ.

*** أساتذته:**

يلاحظ القارئ أن الأستاذ المحقق قدّم منهم (عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ البغدادي)، وأخّر اسم (سيف الدين الآمدي، وهو من كبار أساتذة العز،

وكان الأحرى به ترتيب الأساتذة، بحسب شهرتهم العلمية وصلة العز وتأثره بهم.

* تلاميذه:

هنا أيضاً لم يراع الأستاذ المحقق عند استعراضه أسماء بعض تلاميذ العز الترتيب الواجب في حقهم، فقد ذكر (أبا شامة المقدسي) ثم (جلال الدين الدشناوي...) ثم (ابن دقيق العيد) وهو أشهر تلاميذه وآخرهم ذكراً هنا، ولم يرِدْ ذكر قرينه الشهير (شهاب الدين القرافي)، إذ المعروف أن علاقة هذين التلميذين اللامعين بشيخهما العز كانت طويلة ومتينة ومتميزة أكثر من سواهما من تلاميذه.

ويلاحظ أن هناك سهواً في تحديد سنة وفاة (جلال الدين الدشناوي) كما ورد في (ص9) من مقدمة الأستاذ المحقق، فهي (697هـ) ولسيست (677هـ). وهناك سهو آخر في (ص11 السطر الأخير): ومن البدع التي أنكرها صلاتي الرغائب ونصف شعبان. والصواب كما هو واضح: صلاتا الرغائب ونصف شعبان.

* مترجموه:

ساق الأستاذ المحقق في متن مقدمته عدداً كبيراً من المصادر والمراجع التي ترجمت للعز، لكنها جاءت مختلطة فيها المخطوط والمطبوع، وكان الأجدر أن يفصل المخطوط فيها عن المطبوع.

هذا أولاً، أما ثانياً فهو اعتماد الأستاذ المحقق ـ كما أشار في هامش ص17 ـ في ذكر أكثر المراجع والمصادر، على ما ذكره الندوي في تحقيقه كتاب (الفوائد في مشكل القرآن) ص273، وما ذكره الدكتور علي الفقير في كتابه (الإمام العز بن عبد السلام) 1/ 58. والحق أنّ الأَوْلى والأدق هو الرجوع إلى تلك المظان مباشرة، دون الاعتماد على ما ذكرته تلك المصادر الثانوية، تحقيقاً للدقة العلمية المطلوبة، وتوثيقاً للشيء من مصدره الأصلي.

وقد ورد في (ص18 س4): وبدر الدين الحسن بن حبيب. ولكن الصواب: بدر الدين الحسين بن حبيب.

وورد في (ص19) ما نصه: وأفرد في ترجمته ابنه عبد اللطيف المتوفى سنة 695هـ، حيث صنف: «إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام»، وهذا خطأ صوابه أن مؤلف هذه الرسالة هو شقيقه فخر الدين محمد بن العز بن عبد السلام. ويرجع السبب في هذا الخطأ إلى السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، وعنه نقل بعض القدماء وبعض الدارسين المحدثين، ومنهم الأستاذ المحقق هنا. قارن بما ورد في مقدمة (مجاز القرآن) للعز بن عبد السلام، تحقيق صاحب هذه الملاحظات.

* مؤلفاته:

لقد أفاض الأستاذ المحقق في فحص مؤلفات ابن عبد السلام وتأصيلها والإشارة إلى مظان مخطوطاتها، وهو جهد رائع يعكس مدى اهتمامه بتراث هذا العالم الفذ، وسعة جهوده في تتبع تراثه القيم، غير أن هناك بعض الملاحظات، وهي كالآتي:

- كتاب (شرح حديث أم زرع): ذكره الأستاذ المحقق في (ص22)، كما ذكره قبله الوهيبي في كتابه (العز بن عبد السلام) الرياض 1982 ص129. وهذا الأثر لم يرد له ذكر في جميع تراجم العز المخطوطة والمطبوعة، ولعله كان جزءاً من أحد كتبه.
- قصة وفاة النبي ﷺ: ذكرها الأستاذ المحقق في (ص23)، وذكرها قبله بروكلمان (1/ 554 في الأصل الألماني)، والقرعي في كتيبه (سلطان العلماء ـ القاهرة 1964 ـ سلسلة كتب إسلامية 41) ص29، ورضوان الندوي (ابن عبد السلام ـ دمشق 1961) ص83، والوهيبي في كتابه المذكور سلفاً ص157، وقد وقفت على نسخة مخطوطة منها، فوجدتها بأسلوب عامي لشخص مجهول، لا تمثل ـ فيما أعتقد ـ أسلوب العز ولا تحمل روحه العلمية.

- ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام: وقد وفق الله الأستاذ المحقق نفسه، فأتم تحقيق هذا الأثر، وصدر ضمن سلسلة (مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام (8)، بناء على نسختين في المكتبة الظاهرية، وقد قمت أيضاً بتحقيقه منذ سنوات بعيدة بناء على نسختين: واحدة من الظاهرية، وأخرى من كوبنهاجن، ولم يكتب له أن ينشر حتى الآن.
- مجلس في ذم الحشيشة: ذكره المحقق في (ص23)، كما عزاه إلى العز بروكلمان (1/ 768 في الأصل الألماني) ورضوان في كتابه المذكور (ص83)، والوهيبي في كتابه المذكور (ص157)، ومصطفى عاشور في مقدمة تحقيقه (فتاوى سلطان العلماء) ـ القاهرة 1987 ص7. والواقع أن هذا الأثر لم يرد له ذكر في جميع مصادر ترجمة ابن عبد السلام القديمة، ولعله جزء من أحد كتبه.
- كتاب الأنواع في علم التوحيد: ذكره الأستاذ المحقق في (ص24)، كما ذكره قبله بروكلمان (1/ 554)، والقرعي ص28، ورضوان ص76، غير أن المصادر القديمة التي ترجمت للعز لم تذكر له هذا الأثر. وقد تبين لي من خلال شريط مصور لدشت في إحدى مكتبات أوروبا أن هذا الأثر هو اختصار لشرح ولي الدين المنفلوطي (ت774هـ) على عقيدة ابن عبد السلام، وقد أشار إلى هذا حاجي خليفة في كشف الظنون (ص1143) والبغدادي في إيضاح المكنون (جـ2/ ص166).
- الرد على المبتدعة والحشوية: ذكره الداودي في طبقات المفسرين 1/ 314 كما أشار الأستاذ المحقق، وقد أصاب حين عقّب على ذلك بقوله: «ولعله (ملحة الاعتقاد). هذا وقد طبعت ملحة الاعتقاد أو العقائد في القاهرة عام 1370هـ، كما أشار الأستاذ الطباع في هامش (4 من ص24)، تحت عنوان «إيضاح الكلام فيما جرى لعز الدين بن عبد السلام في مسألة الكلام» معزواً خطأً لابنه عبد اللطيف، اعتماداً على ما جاء في طبقات السبكي، والصحيح ـ كما تقدمت الإشارة ـ أنّ مؤلفها هو شقيقه فخر الدين محمد بن العز.
- رسالة في القطب والغوث والأَبدال الأربعين وغيرهم: ساقها الأستاذ

المحقق ص(24 ـ 25)، وأشار إلى أن ذكرها ورد عند حاجي خليفة والبغدادي (هدية العارفين)، وعنهما نقل كل من: القرعي (ص29) ورضوان (ص82) والوهيبي (ص154). واستناداً إلى أن هذه الرسالة لم ترد في أيٍّ من تراجم العز، فإني أرجح أنها لشخص يشبهه في الاسم، وما نسبتها لدى حاجي خليفة والبغدادي إلا من قبل الخلط الذي يشيع لدى هذين الرجلين، والله أعلم.

- وصية الشيخ عز الدين: أضيف هنا إلى ما ذكره الأستاذ الطباع أن هذه الوصية مذكورة في كتاب العز نفسه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» القاهرة 1/ 198 ـ 205.

- رسالة في الزهد: ذكرها المحقق في (ص25)، ولكن لم يأت لها ذكر في جميع تراجم العز القديمة، ولعلها هي ذاتها رسالة «شرح حديث أبي ذر» التي أشار إليها بروكلمان وبعض المؤلفين المعاصرين (راجع كتاب مجاز القرآن ـ هامش 129 من ص35)، واستناداً إلى أن كلتيهما لم تذكر في المصادر القديمة، فالأغلب أنهما رسالتان لا علاقة لهما بالعز، والله أعلم.

- نبذة في الرد على القائل بخلق القرآن: ذكرها المحقق في (ص25)، وكذلك الوهيبي في (ص132)، ولم يرِدْ لها أي ذكر في تراجم المؤلف في المصادر القديمة، ولعلها جزء من أحد كتبه.

- قاعدة الواسطة: أضيف إلى الهامش الذي ذكره الأستاذ المحقق (هامش 4 ص25)، أن الدكتور رمضان ششن ذكر هذا الأثر في كتابه (نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا جـ2/ ص218 ط. دار الكتاب الجديد ـ بيروت، 75 ـ 1981)، غير أن تراجم العز القديمة لم تذكر هذا الأثر، وهو ما يرجح أنه ليس له.

- الفوائد في اختصار المقاصد: ورد في مقدمة المحقق هنا (ص29)، وهو أحد عناوين كتاب (القواعد الصغرى) الذي اختصر فيه العز كتابه المعروف (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، والجدير بالذكر هنا أن هذين الكتابين

وردا بتسميات متفاوتة في مختلف تراجم العز. (انظر مقدمة كتاب مجاز القرآن ص29).

- الفتاوى الموصلية: أشار الأستاذ المحقق في هامش (1) من ص28 من مقدمته إلى أنه طبع للعز «كتاب الفتاوى» بتحقيق عبد الرحمٰن بن عبد الفتاح، بدار المعرفة ـ بيروت، سنة (1406هـ)، اعتماداً على ثلاث نسخ، وأضيف هنا أن هذا الكتاب نشر بعنوان «فتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام» بتحقيق مصطفى عاشور، اعتماداً على نسختين من تلك النسخ التي أشار إليها الأستاذ الطباع، ونشرته مكتبة القرآن بالقاهرة عام 1987م، والجدير بالملاحظة هو أن محقق هذا الكتاب لم يبين لنا أهو الفتاوى الموصلية، أو هو الفتاوى المصرية، ويبدو ـ كما يقول الأستاذ الطباع ـ أنه نبذ متفرقة من فتاوى العز. والحق أنه هذا التحقيق مثقل بالمآخذ، وهو ما يدعو إلى إعادة تحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً.

- أحكام الجهاد وفضائله: جاء في مقدمة الأستاذ الطباع هكذا «وفضله» بدلاً من «وفضائله». وبالرجوع إلى مصادر ترجمة العز، لا نجد له ذكراً فيها. ومع ذلك، فقد علمت بأن دار الوفاء بمكة المكرمة قد نشرته عام 1986م بتحقيق الدكتور نزيه حماد، ولم أتمكن حتى الآن من الاطلاع عليه، حتى أتأكد من مسألة نسبته إلى العز وموقف المحقق منها.

- شرح منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب: أشار الأستاذ الطباع إلى أن اللذين نسباه إلى العز بن عبد السلام هما حاجي خليفة، والبغدادي صاحب هدية العارفين. وهنا نعيد ما أسلفناه وهو أن هذين الرجلين كثيرا التخليط، وعنهما نقل أيضاً القرعي ورضوان والوهيبي وغيرهم استناداً إلى أن المصادر القديمة لم تذكر هذا الشرح، ولم تنسبه للعز، وأرجح أنه ليس له، وإنما لِسَميّ له آخر، والله أعلم.

- العماد في مواريث العباد: وهو من تأليف شهاب الدين (وليس عز الدين كما ورد لدى الأستاذ المحقق) ابن عبد السلام بن محمد المنوفي (ت931هـ)،

راجع البغدادي في هدية العارفين جـ1/ ص140 ـ 141، والزركلي حـ1/ ص140، وقارن بما لدى الوهيبي ص161.

- فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد: وهو من تأليف صدر الدين أبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي الشافعي المناوي، كما جاء في النسخة الموجودة بمكتبة الإسكندرية، وليس شمس الدين، وأضيف أنه من وفيات عام (803هـ). انظر كحالة (ط. 1960) جـ8/ ص192.

- مبهج الرائد، بالضوابط الفرائد: هكذا ذكره المحقق (ص30)، والصواب أن عنوانه هو: مبهج الرائض بضوابط الفرائض، وكان موجوداً في المكتبة الظاهرية تحت رقم (60)، وقيل إنه اختفى. أما مؤلفه فهو محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي، أبو عبد اللّه، شمس الدين المتوفى عام (831هـ)، انظر الأعلام (ط5) حـ6/ ص188.

- كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار: وقد أشار الأستاذ المحقق في هامش (3) ص30 إلى أن الدكتور مختار هاشم قد حققه ونشرته دار الطباع بدمشق، وأضيف هنا أن المستشرق ج.هـ. جارسين دي تاسي قام بتحقيقه وطبعه في باريس عام 1821م.

- نخبة العربية في ألفاظ الآجرومية: وهو. كما ذكر المحقق. من تأليف أحمد بن محمد بن عبد السلام، وأضيف هنا أن وفاته كانت عام 931هـ.

- بحار القرآن: ذكره المحقق (ص31)، وهو فعلاً تحريف واضح لعنوان «مجاز القرآن» للعز، ومعلوم أن له عنواناً آخر بديلاً هو «الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز» الذي طبع لأول مرة عام 1313هـ، ثم صوّر أكثر من مرة، حتى وفق الله فقمت بتحقيقه عام 1984، ثم نشرته كلية الدعوة الإسلامية في طرابلس ـ ليبيا عام 1401هـ.

- مسائل الطريقة في علم الحقيقة: نسبه ـ كما ذكر الأستاذ الطباع في هامش ص(33) إلى العز كل من البغدادي في إيضاح المكنون ص586، وبروكلمان 1/ 555 من النسخة الألمانية، والوهيبي ص155، وقد طبع في مصر عام

1322هـ، ثم في طنطا عام 1995م بتحقيق ضعيف للأستاذ (طه عبد الرؤوف سعد) منسوباً خطأ للعز سلطان العلماء، والصحيح أن مؤلفه الحقيقي هو: أبو محمد عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي المتوفى عام (678هـ).

- مختصر الكشاف: ذكره المحقق ص(31)، ولكن استناداً إلى أن هذا العنوان لم يرد في كل التراجم القديمة للعز، فإن نسبته له باطلة.

- الكلام على شرح الأسماء الحسنى: أشار الأستاذ المحقق إياد الطباع في مقدمته لتحقيق كتيب (معنى الإيمان والإسلام) الطبعة الأولى في 1413 ص5 إلى أن هذا الأثر العلمي ورد ذكره في «رسالة في التراجم» لمجهول، في المكتبة الظاهرية رقم (4616). وقد ذكره أيضاً بعنوان «شرح الأسماء الحسنى» مَعْزُوّاً للعز بن عبد السلام، كل من ابن الملقن في كتابه (طبقات الشافعية) مخطوطة رقم (108 هنت) بمكتبة بدليان ـ أكسفورد ـ ص72 (أ)، وابن قاضي شهبة في كتابه (طبقات الشافعية) مخطوط رقم (362، 23 ADD) في المكتبة البريطانية في لندن. أما سائر المصادر القديمة فلم تذكر له هذا الكتاب.

- الألغاز في النحو: ذكره الأستاذ الطباع في مقدمة تحقيقه كتيب العز «معنى الإيمان والإسلام» ص5، مشيراً إلى أن السيوطي ذكره في كتابه «الأشباه والنظائر في النحو 2/ 669 ـ 672»، غير أن جميع تراجم العز القديمة والحديثة لم تذكر هذا، ولعل السيوطي وَهِمَ في نسبته هذه.

من خلال تأمل عناوين تلك الكتب التي نسبت للعز بن عبد السلام والتي سبقت الإشارة إليها، لاحظنا أن هذه النسبة لا تعود إلى تاريخ أبعد من القرن الحادي عشر الهجري، حيث وجدنا حاجي خليفة، ثم الباباني البغدادي من بعده في فترة متأخرة، هما مصدر تلك النسبة، وعنهما نقل بروكلمان وسائر المؤلفين المحدثين. ونحن إذاتفحصنا التراجم القديمة ثبت لدينا أنها خلو من تلك الآثار المنسوبة إليه، وهو ما يؤكد بطلان هذه النسبة.

وتبقى هناك آثار أخرى لم يشر إليها الأستاذ المحقق في مقدمة تحقيقه شجرة المعارف، وهي:

1 ـ رسالة في علم التوحيد (خ): وهي صفحة واحدة على ما يقول الوهيبي في كتابه ص(130)، ولا نعرف مصدر هذه العزو، ولعلها جزء من كتاب للعز، لأن تراجمه لم تذكرها أيضاً.

2 ـ رسالة في شرح حديث أبي ذر (خ): وقد ذكرها بروكلمان في النسخة الألمانية (الملحق 1/ 767)، وعنه نقل القرعي في ص29 ورضوان.